



كلمة العدد

ان أهم ميزة تمتاز بها الدعوة الاسلامية انها انتشرت بالاقناع والافهام ، ولم تنتشر بالترغيبات المادية ، ولم يكن فى انتشارها دور لاجبار الحكومات ولا لاکراه السلاطين والملوك . ولاشك أن هذه الميزة سابقة لاتجارى ، وان هذا الفضل حمى لايطأه سوى الاسلام من الملل والنحل . وأنى يدرك الظالع شأو الضليع .

وأما النظريات والملل والنحل الأخرى فقد انتشرت وراجت اما تحت تأثير ترغيبات مادية ، أو باجبار الحكام واکراه الملوك . فتدين النظرية الشيوعية لانتشارها الى تأثير الحكومات الشيوعية ونفوذها فى سياسات العالم وانظمة البلاد . ولم يتمكن التبشير المسيحى من التقدم والازدهار الا من أجل مساعدة الحكومات المسيحية وتعاونها . ولم تنتشر الدعوة العلمانية الانحت تأثير الثقافة الاوربية السائدة فى العالم والحضارة الغربية المسيطرة على الانسان المعاصر . ولم يتجه الانسان المعاصر الى الانحراف الفكرى والالحاد الثقافى الا بجهود الحكومات والقوى الكبيرة العالمية .

وانظر على العكس من ذلك الى النظرية الاسلامية ، فنجدها لم

تنتشر فى يوم من الأيام الا بالدعوة والاقناع والتبليغ والافهام . ويعلم كل مطلع خبير أن تاريخ الاسلام الزاهر لشاهد عدل وصدق على هذه الحقيقة . فمن ذا الذى لايعرف حياة الصحابة وكيف تحملوا الشدائد والمشاق والمتاعب فى سبيل دعوة الاسلام وكيف تهافت الصحابة على دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تهافت العطشان على الماء ؟ ومن ذا الذى لايعرف أن الصحابة رضى الله عنهم ضحوا بنفسيهم ونفسيهم من أجل الاسلام ؟ هل كان هذا كله من أجل الترغيبات المادية أم كان منبعه الايمان الصافى الواثق والاقناع التام بالمبادئ الاسلامية ؟ هل جاهدوا بأموالهم وانفسيهم لحفظ النفس وكسب الاموال ؟ أم كان جهادهم من أجل الحب فى الله والبغض فى الله والتفانى فى سبيله والتبتل اليه تبتيلا كاملا ؟ بل هم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

★ ★ ★ ★ ★

ولعل أحسن مثال وأروع نظير لقوة الاسلام الروحية وفعالتيه الاقناعية وسرعة تغلغله وسريانه فى روح الانسان وأعضاءه وجوارحه هو دخول التتار فى دين الله أفواجا ، وتحولهم من ألد أعداء الاسلام الى المجاهدين فى سبيله .

كان قوم التتار بادئ ذى بدء من أشد أعداء الاسلام وألد خصومه، واجتاحوا العالم الاسلامى كالسيل المتدفق وجاءوا عليه كالجراد لايبقى ولايذر، فاطاحوا بالحكم الاسلامى فى كثير من البلاد، وقتلوا ملايين المسلمين الابرياء وشردوا الملايين، وكانت قلوبهم لاتعرف اللين، ولم تأخذهم بالمؤمنين رافة ولم تكن فى صدورهم للمسلمين رحمة . وهم الذين زعزعوا الخلافة الاسلامية فى بغداد، وهم الذين

مزقوا وحدة الاسلام وجعلوا الأمة عروة عروة . وضاعت على أيديهم آلاف المكتبات وملايين الكتب ، حتى اسودت مياه الآبار والانهار .
وهنا وقعت معجزة الاسلام ، فسرعان ماتم انتصارهم العسكرى ضد العالم الاسلامى بدأ انهزامهم الفكرى واستسلامهم الثقافى وتضعفهم الحضارى أمام المسلمين ، ولم يستطيعوا القيام أمام الفكر الاسلامى ، ولم يقدرُوا على مقاومة الثقافة الاسلامية ولم تكن حضارتهم توازى حضارة الاسلام ، فاعترفوا بهزيمتهم . أمام هذه القوى الروحية والثقافية ودخلوا فى دين الله أفواجا ، وأقبلوا على بكره أبيهم فاع عن الاسلام واستعدوا قضا وقضيضا للذب عن بيضة المسلمين .

ومع أن التاريخ لم يسجل اسماء المجاهدين الكرام البررة الذين لعبوا دورا رائدا فى اقناع التتار بحقانية الاسلام وادخلوهم فى الاسلام ، ولكن الحادث العظيم ان دل على شئ فانما يدل على قوة فكر الاسلام ومنعة ثقافته وتماسك حضارته ، ولعل هذا هو الحادث الوحيد فى تاريخ الاسلام ، بل فى تاريخ البشرية ، أن الذين أوقعوا على غيرهم هزيمة قصماء فى ساحة القتال ونضال السلاح انهزموا فى مضمار الفكر والثقافة ونضال العلم والحضارة

★ ★ ★ ★ ★

وما يوم الشرق الاقصى يبعيد ، فان الاسلام دخل هذه المنطقة بمجرد قوته وفعاليته وحيويته . وهذه المنطقة التى تضم اليوم أكثر من مأتى مليون نسمة من أبناء الاسلام وبناته كانت مسكن الهنود ومأوى البوذيين . وكان يحكم جزر هذه المنطقة الكثيرة وارخبيلاتها العديدة

مئات من الحكام والراجاوات الهنادكة ، وكانت لهم صلات تاريخية وثقافية بالديانة الهندوكية الأم في الهند ، اذا جاز التعبير . واستمرت السيطرة الهندوكية على هذه البلاد وأهلها وذويها حتى نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، ولم يكن للاسلام أى تأثير كبير أو دور ملموس فى حياة أهل هذه المنطقة قبل نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) .

ولاشك أن الدعاة المسلمين الذين بلغوا دعوة الاسلام الى هذه البقعة النائية من أرض الله الواسعة لم تكن لديهم قوة سياسية ، ولم يكونوا يتمتعون بنفوذ عسكري أو دبلوماسى ، ولم يكن بعضهم حكومة قوية ، ولا يؤيدهم جيش عرمرم . كلا انه لم يكن عندهم شئ من ذلك . بل كل ما قاموا به من الدعوة الى الله قاموا به متوكلين على ربهم ، مستندين الى بساطة الاسلام ، معتمدين على سداجة رسالته ، واثقين بجزالة انظمتهم .

وسرعان ما رأى التاريخ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، وأصبحت جزر شرق الهند وملايا جزءا من دارالاسلام - ولما تجول الرحالة ابن بطولة فى هذه البلاد فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى رأى أن الاسلام قد انتشر انتشارا كبيرا فى جزر سماطره وملايا ، وتأسست فى مناطقها الساحلية عدة دويلات اسلامية . وهذا الانتشار السلمى التلقائى للاسلام فى هذه البقعة من الارض ان دل على شئ فانما يدل على قوة الاسلام وحيوية رسالته .

والتبليغ والارشاد ما نراه اليوم من انتشار دعوة الاسلام فى بلاد افريقيا وأوربا وأمريكا - فان الأحوال هنا غير مساعدة للدعاة المسلمين ، والاجواء غير موافقة لدعوة الاسلام ، والأزمة بالنسبة للعيشة الاسلامية مظلمة حالكة ، والبيئات التى يسكن فيها المسلمون قاتلة فاتكة . ولكن على الرغم من ذلك نرى دعاة الاسلام يعملون فى بلاد هذه القارات المختلفة ، ويكافحون من أجل دينهم ، يهدون الى الحق وبه يعدلون .

فماهى القوة التى يزداد من أجلها عدد المسلمين فى افريقيا الوسطى وافريقيا الجنوبية ؟ ولماذا يتضاعف عدد المسلمين فى بلاد اوربا المختلفة ؟ هل أكرههم أحد على اعتناق الاسلام ؟ أم هل دخلوا فى الاسلام لنيل أهدافهم المادية ؟ كلا ، انهم لم يسلموا الا لأنهم رضوا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) رسولا ، واطمئنوا اليه ، واقتنعوا بحقانية الاسلام وصدق مبادئه وأبديته أحكامه وآخريه شريعته .

★ ★ ★ ★ ★

ان الدعوة الى الله وتبليغ دينه الى كافة البشر لم يكن فى يوم من الايام بل وفى لحظة من اللحظات عبر التاريخ الاسلامى الطويل مهنة من المهن يمارسها الناس ويتفرغوا لها مقابل أجر يأخذونه ، بل كانت الدعوة الى الله وتبليغ دينه الى الناس فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة يقومون بها أينما كانوا واینما حلوا ، فان الاسلام لا يتصور مسلما لا يكون داعية ومؤمنا لا يكون مبلغا . ولذلك كان سلوك دعاة الاسلام مختلفا عن سلوك الدعاة فى سائر الملل والنحل . فان

التبشير عند المسيحيين مهنة من المهن يتخذها الطالب ويختارها الشاب لنفسه كما يتخذ الناس مهنا أخرى . وهم لا يتفرغون لعمل التبشير الا مقابل أجور ضخمة وتسهيلات رائعة ، ولا يقومون بالتبشير الا كما يقوم التاجر بتجارته وصاحب المهنة بمهنته بل الموظف الادارى بوظيفته لاذوق عنده ولاحب لما يقوم به ، فلا يتفانى فى سبيله ولا يهيم من أجله ، وليست حياته الفردية والاجتماعية نموذجا لعمله ، ولا تتجلى فى شخصيته النظرية التى يعمل من أجلها ، ولا ينعكس فى حياته الهدف التى يقنات منه القوت .

ولذلك لم نر فى التاريخ الاسلامى الطويل أن حكومة من الحكومات الاسلامية خلال هذا التاريخ فتحت معاهد لتربية الدعاة ، ولا حاكما من الحكام المسلمين أسس مجامع لاعداد المبلغين . نعم ، انهم فتحوا معاهد لتربية العلماء ، وأسسوا مجامع لتدريب الأجيال ، وبنوا مدارس لتعليم الاطفال ، وانشأوا زوايا لتزكية النفوس وتطهير الأرواح ، وشادوا مراكز لاعداد المجاهدين وتدريب المقاتلين . وبذلك ربوا جماعات من علماء كانوا دعاة الى الله ، ودرّبوا أجيالا عملت لنشر الاسلام ، وعلموا أطفالا كرسوا حياتهم لبث رسالة الله وزكوا نفوسا ضحت بنفسها ونفيسها فى سبيل دين الله ، وطهروا ارواحا فدت نفسها لاعلاء كلمة الحق ، وأعدوا مجاهدين جاهدوا فى الله بأموالهم وانفسهم لا يخافون فيه لومة لائم ، ودرّبوا مقاتلين يقاتلون أئمة الكفر ويقاومون أساطين الضلال ويكسرون شوكة الطواغيت .

★ ★ ★ ★ ★

ان من طبيعة الانسان أن لا يبادر الى الاقتناع بنظرية جديدة والايمان

بمبدأ جديد بمجرد سماعه وعلمه ، لأن الانسان العادى لا يملك عقلا يدرك به أبعاد هذه النظرية وحكمة هذا المبدأ . فاذا سمع شيئا جديدا يختلف عما كان يسمعه ، أو دعى الى شئ جديد لم يعتده ، أو رآه بديهية ، هابه وكان ردفعله الابتدائى عبارة عن مخالفة عنيفة ، لأنه لا يعرفه ، والناس اعداء لما جهلوا . ولكن اذا خالطه معرفة يأنسه ويألفه . نرى هذه الحقيقة واضحة جلية فى تاريخ انتشار الاسلام فى العهد النبوى . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قومه الى ربه لمدة تنيف على عشر سنين ، وواصل ليله بنهاره يكافح من أجل ارشادهم وهدايتهم الى سواء السبيل . ولكن الذين اقتنعوا بحقانية الاسلام وصدق رسالته وصلاح نظامه وعدل شريعته خلال هذه المدة الطويلة لا يبلغ عددهم ألفا - رجالا ونساء ، أطفالا وشيوخا - وأما الاغلبية الغالبة من الناس فبقوا على كفرهم وأصرروا واستكبروا ، استكبارا .

ولكن تغيرت هذه الحالة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، حيث شكل مجتمعا اسلاميا فى صورته الحقيقية ، وأرسى دعائم دولة اسلامية ، وبدأ يطبق نظام الاسلام ويعلى شريعته الغراء ، فلما رأوا الحقيقة بأعينهم وشاهدوا النظام الاسلامى فى صورته العملية وعاشوا فى المجتمع الاسلامى تغير سلوكهم وبادروا الى قبول هذه الدعوة وبدأوا يدخلون فى دين الله أفواجا حتى بلغ عدد من دخل الاسلام قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مليون نسمة ، وتوسعت ثغور الدولة الاسلامية الى آفاق الجزيرة العربية بل والى خارجها ، وانتشرت الدعوة الاسلامية خارج البلاد

وبلغت الى الهند وافريقيا وبلاد أوروبا و غيرها من البلاد النائية . فرب
حال أفصح من مائة لسان .
فاذا أراد المسلمون أن يقوموا بواجب الدعوة الاسلامية حق قيام
فيجب عليهم قبل كل شئ أن يشكلوا مجتمعهم على قواعد اسلامية
صالحة ، وأن يرسوا دعائم دولتهم على أسس اسلامية صحيحة ، وأن
يطبقوا النظام الاسلامى بصورته الحقيقية ، وأن يعملوا لاعلاء شريعة
الاسلام سلوكا ومنهجاً ونظاماً للحياة . هذا هو السبيل الوحيد للدعوة
الى الاسلام ، وهو أسهل طريق وأسرع وانفعه ، وأجدى من الغيث
فى أوانه .

محمود أحمد غازى

★★★★★